ROUTE
EDUCATIONAL & SOCIAL SCIENCE JOURNAL
ISSN: 2148-5518

Volume 8, Issue 3, March 2021, p. 142-151

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
08/01/2021
Received in revised form
18/02/2021
Available online
15/03/2021

ARABIC IN A CHANGING WORLD

Rabiea Abdlissalam Mohamed HANDAR [1]

Abstract

A language_ in general_ is the link among people in which they can communicate; as speakers, Arabic can be considered as the strongest interconnected bonds among its native speakers; so ((Arabic is the most prominent manifestation of Arabic culture, and it is the most expressive and impact language as it has been described as National Affection Container, in deed, there is no national culture without national language)). Arabic should be preserved with its strength to lead to its purpose. For making it the communication language among us to express ourselves and to illustrate to our objects to live with us and by us.

But there are big challenges that face our language, Arabic; so obviously the clearest one of them is the globalization in concept of language that imposes its sovereignty a particular language on others in the world and exclude the others to do their purpose of communication among people. That could be seen clearly in terms of using Arabic in daily life by its native speakers and spread foreign words and phrases between its structures that used by its native speakers. Moreover, changing its structural words and phrases to be used daily, as a result disfigured language structure.

So that we have to stand and face this mess up which try to storm on Arabic indirectly by using its native speakers. To face this dander, we need to repair Arabic from any simple deflection and that can be happened by keeping and using its words, phrases and structures as standard, and filtering it from deep inside, and tighten it up by translating it into Arabic to be updated, and everyone can see how it is important to be a living language to get performance and public.

Keywords: Arabic, National Culture, Changing World.

[1]Dr., Tripoli University, Libya, dr.hander@gmail.com

اللغة العربية في عالم متغير

ربيعة عبدالسلام محمد هندر[2]

الملخص

إن اللغة – بشكل عام – هي الرابط الذي يجمع بين البشر؛ بكونهم ناطقين، وتعد العربية من أقوى أواصر الترابط بين المتكلمين بها؛ إذ « أن اللغة العربية هي أبرز مظاهر الثقافة العربية، وأكثرها تعبيرًا وأثرًا بوصفها وعاء الوجدان القومي، فلا ثقافة قومية بدون لغة قومية» ومن هنا وجب المحافظة عليها بقوتها وجزالتها حتى تؤدي الغرض منها؛ بأن نجعلها لغة التواصل فيما بيننا، نقضي بها حاجاتنا، ونعبّر بها عن أغراضنا؛ فتحيا بنا ومعنا.

ولكن هناك تحديات كبيرة تواجه لغتنا لعل أبزها العولمة في المجال اللغوي الذي يفرض سيادة لغة معينة علىٰ سائر اللغات في العالم، وإبعاد غيرها عن أداء دوره في التواصل بين الشعوب. وقد ظهر أثر ذلك جليًا واضحًا فيما يتعلق باستخدام العربية لغة التخاطب والتواصل اليومي بين أبنائها، وتفشي مفردات ومصلحات أجنبية بين تراكيبها تدور علىٰ ألسنة متكلميها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل أحيانًا إلىٰ تغيير بعض مبانيها لتطويعها للغة اليومية التي أنتجت لغة مشوهة لا تكاد تبين.

من أجل ذلك كله وجب علينا الوقوف أمام هذا العبث الذي يحاول أن يعصف باللغة العربية بطريقة غير مباشرة وعن طريق أبنائها، ومواجهة هذا الخطر المحدق تتم من خلال صيانة اللغة العربية من كل زيغ وزلل مهما كان بسيطًا؛ بالمحافظة علىٰ ألفاظها وعباراتها وتراكيبها سليمة فصيحة، وتنقيتها من الدخيل، وشد عضدها بالترجمة والتعريب لتواكب العصر، ولا يخفى علىٰ أحد ما لجعلها لغة التواصل من فائدة عظيمة تبث فيها روح الحياة، وتكسبها الديمومة والذيوع.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الوجدان القومي، عالم متغير.

المقدمة

مكانة اللغة العربية وأهميتها

إن للغة العربية مكانة لا ترقى إليها لغة من اللغات الحية؛ وقد اكتسبت هذه المنزلة الرفيعة علىٰ مرّ العصور والأزمان، فمنذ القدم تميّزت بكونها لغة راقية فصيحة وصلت إلىٰ درجة من النضج والكمال منذ بداية تاريخها؛ تمثّل ذلك فيما وصل إلينا من الشعر العربي الفصيح الذي ازدان بالجزالة والفصاحة، ووصل الذروة في التصوير البياني والبلاغي، وقد ازدادت مكانتها علوا، وازدانت بما حباها الله به إذ

[2] د.، جامعة طرابلس، ليبيا، dr.hander@gmail.com

جعلها لغة الوحي، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾(3) وقد اختارها جل وعلا لتكون لغة آخر الكتب السماوية المنزّلة من عنده، فخاطب بها ومن خلالها البشرية جمعاء؛ لأنه الدين الخاتم، وقد بعث صاحب هذه الرسالة – ﷺ – إلى الناس كافة؛ فاكتسبت بذلك الشمولية والديمومة والانتشار، كما ضمنت الحفظ عبر الزمن من خلال تكفل الله – جل جلاله – بحفظ كتابه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(4)، وقد بيّن نبينا الكريم – ﷺ – فضلها ومكانتها فقال: « أحب العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي»(5)، ويراها الثعالبي أفضل اللغات فيقول: « إنّ العربية نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم ... وأعتقد أنّ العربية خير اللغات»(6)، ومن هذا المنطلق ليس غلوًا أن تعدّ أفضل اللغات، وأكثرها انتشارًا؛ وأكبر دليل على ذلك أنها لغة القرآن، ولا يقبل غيرها عند قراءته أو حفظه، أو التعبّد به؛ فلا مجال إلى ترجمته إلى لغة أخرى لتأدية أيٍّ منها(7). يقول الجاحظ: « ... الدليل على أن العرب أنطق، وأن لغتها أوسع، وأن لفظها أدلّ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر، والأمثال التي ضربت فيها أجود وأسير»(8). ويمتدحها أمير الشعراء فيقول:

إن الذي ملأ اللغات محاسنًا جعل الجمال وسره في الضاد(9)

ولأنها لغة الدين الخاتم اختصت بكونها صالحة لكل زمان ومكان، استطاعت أن تسير وفق سنن الطبيعة من حيث التطور ومواكبة سبل الحياة ومناحيها المختلفة، وتعايشت مع الواقع من خلال ثرائها، وقدرتها على التوليد والإنتاجية بما في نظامها الصرفي والنحوي من قدرة على توليد المفردات الملائمة لكل ما يستجد، واستيعاب تراكيبها للمعاني والتعابير الوجدانية التي تنتج عن متكلميها في كل زمان ومكان، ويبرز هنا دور المجامع اللغوية، وجهود أهلها للنهوض بهذه اللغة، والردّ على كل من يتعرّض لها بكونها لغة تخلّف وجمود.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

على الرغم من كل الجهود المبذولة للوقوف في صف اللغة العربية، ودفع الادعاءات المغرضة التي تحاول الحظ من شأنها فإن ذلك لم يمنع من وجود عقبة تقف حجر عثرة في سبيل المحافظة عليها في زمن يتغير كل لحظة، فنجد فيها ما يعرف بالازدواجية اللغوية، أو ثنائية اللغة؛ بحيث تكون لغة الواقع المعاش عبارة عن خليط من اللغة الأم، وأخرى قد تكون لهجة محلية أو لغة أجنبية، أو غيرهما، ومن أهم أسباب هذه الازدواجية ما يلي:

- تداخل اللغة العربية مع غيرها من اللغات الأجنبية بداعي التطور والعولمة.
- العمالة الوافدة وما ينتج عن التعامل معها من تكوّن لهجة داخل اللهجة.
- عدم اعتماد اللغة السليمة لغة للتواصل اليومي بين أبنائها.

نتج عن ذلك كله أن أصبحت اللغة العربية مغيّبة بشكل كامل؛ فلا نجدها في الحديث اليومي، ولا في مجالات العمل كالتعليم والأعلام مثلاً، ويقدّم من يقوم بذلك الإبعاد حججًا واهية؛ ففي مجال التعليم – العالي منه بخاصة – يجنحون إلى ما يسمى باللغة الحية كالإنجليزية مثلاً فيعتمدونها في تدريس العلوم التطبيقية كالطب وتخصصاته، والعلوم والهندسة بأقسامها المختلفة، وكأن العربية في نظرهم لغة ميتة، أو ضعيفة لا تستطيع أن تواكب التطور. وسبب ذلك – حسب ما أرى– هو قطع اللغة عن الحياة اليومية؛ فلسان حال

---

3) – سورة يوسف الآية: 2.

4) – سورة الحجر الآية: 9.

5) – الطبرسي ، مجمع البيان: 206/2.

6) – فقه اللغة وسر العربية، ص: 192.

7) – انظر أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص: 13.

8) – البيان والتبيين: 384/1.

9) – أحمد شوقي، الديوان : 163/2.

تلاميذنا اليوم يقول: لماذا أدرس العربية، وإن أكملت دراستي سأتعلّم بالإنجليزية، ولو تكلمت سأتكلم باللهجة؟! ومن هنا الرجاء منكم يا من تهمكم العربية أن توصلوا اللغة بالحياة لتكتسب الحياة.

أما الإعلامي فيظن أنه يقدّم لغة ميسّرة سهلة للجمهور، ولكنه في حقيقة الأمر لا ييسر هذه اللغة بقدر ما يشينها ويشوهها؛ فلا هي اللغة الأم، ولا هي لهجة مقبولة، إنما هي عبارات شوهاء، خليط مكوّن من عامية وأجنبية وقليل من العربية.

وتتجلى الآن هذه التساؤلات:

- هل اللغة العربية مواكبة للعصر؟
- ما التحديات التي تواجهها في سبيل تحقيق ذلك؟
- لماذا لا تكون اللهجات رافدًا يغذّي العربية؟
- كيف نجعل اللهجة منبعًا للتنوّع والنماء؟
- ما الحلول التي يمكن من خلالها الوصول إلىٰ الغاية المنشودة في الحفاظ علىٰ لغة القرآن وإعطائها حقها بين لغات العالم من حيث السيرورة والذيوع، واستثمارها لتواكب الحياة العملية كالسياحة مثلاً، والندوات والمؤتمرات الدولية؟.

سيكون في هذا البحث محاولة للإجابة علىٰ هذه التساؤلات، والوقوف علىٰ مكامن القوة التي تخدم غايات العربية وتحققها.

التحديات التي تواجه اللغة العربية في الوقت الراهن

إنّ اللغة كائن حيّ ينمو ويتطور، ويتعرّض لمؤثرات تترك بصماتها عليه سلبًا أو إيجابًا، ومن خلال ذلك كله تعترض اللغة جملة من التحديات قد تقف في طريقها فتمنعها عن أداء مهمتها التواصلية بين أبنائها.

وتختلف هذه التحديات؛ فمنها ما ينبع من داخل اللغة نفسها، ومنها ما يرتبط بأهلها، والناطقين بها. أما ما يتعلّق بما هو نابع منها فهو ما يعرف باللهجات التي تعدّ في حقيقة الأمر انحرافًا عن اللغة الفصحى في بعض أحوالها سواء أكان هذا الانحراف ناتجًا عن اللحن في القواعد، وإدخال مفردات لغة أجنبية عليها تسربت إليها نتيجة الاستعمار، أو ادعاء التطور، أم كان عن طريق ما تخللها من التحوير والتغيير الذي يطرأ عليها لدواعٍ صرفية كالتسهيل والإعلال والقلب المكاني وغيرها، وفي هذه الحال تكونت فجوة عميقة بين أبناء العربية أسهمت في خلق فراغ يقف حائلاً بينهم وبين الانتماء إلىٰ هوية واحدة وما هو موجود في الواقع؛ والسبب في ذلك هو اللجوء إلىٰ اللهجة التي يستسهلونها، وابتعادهم عن اللغة الأم لغة القرآن مصدر اتحادهم وقوتهم.

ولعل السر في شيوع اللهجات المرذولة ناتج عن دعوة بعض أهل العربية ممن ينحازون إلىٰ المدنية الحديثة، ويستسيغون ذلك بدعوى التطور، فيطبّقون ذلك علىٰ اللغة، ويرون وجوب تطويعها لتناسب الزمن الذي نعيش فيه، وعدم الالتزام باللغة الفصحى تعاملاتنا اليومية، وفي إطلاق مصطلحات أو مسميات بعينها، ولعمري فإن هذا يشكل خطرًا عظيمًا علىٰ العربية؛ فهو دعوة إلىٰ تغريبها بين أبنائها.

ومما يجب التنويه عليه ما يترتب علىٰ الثنائية في اللغة من صعوبات ومزالق قد تؤدي إلىٰ العصف باللغة الأم، وهذا ما تدعو إليه بعض المنظمات في العالم العربي بأن يكون هناك لغة للتخاطب والتواصل اليومي يتعامل بها عامة الناس، وفي المقابل توجد اللغة الفصيحة الراقية التي يستعملها المختصون والكتّاب والأدباء والأكاديميون في كتاباتهم. ولو افترضنا جدلاً أن اللغة الفصيحة تصعب علىٰ غير المختص، وسلّمنا لدعوى التسهيل، وجعلنا لهؤلاء لغة يومية يمارسونها في حياتهم ويقضون بها حوائجهم؛ فكيف سيقرؤون القرآن؟ أو بالأحرى كيف سيفهمون ما جاء فيه من أوامر ونواهٍ، وما سرد فيه من قصص لأخذ العظة والعبرة؟.

لا شك أن لكلٍ اختصاصه ومجاله، ولكننا نسعى إلىٰ ربط كل مسلم بكتاب الله، وهذا لا يعني أنه يستطيع تفسير كلام الله المعجز وحده بالجملة، ولكن ما نريده هو أن يستطيع فهم بعضه علىٰ الأقل، وإن استعصى عليه معنى لفظ، أو آية بعينها يعلم أين يبحث

عنها كالمعاجم مثلاً أو كتب التفسير، فيوفر علىٰ نفسه مشقة أن يعتمد علىٰ غيره في كل شيء، إضافة إلىٰ تواصله الدائم مع كتاب الله من خلال اللغة الفصيحة، وهذا يسد الفجوة التي جعلت بين لغة الاستعمال، ولغة الكتب والتأليف.

جهود العرب في الحفاظ علىٰ لغتهم

حاول العرب منذ القدم المحافظة علىٰ لغتهم نقية سليمة بالرغم من وجود مستويين لها؛ وهو ما استند إليه دعاة الفريق الذي يدعو إلىٰ الثنائية في اللغة، ومن اللافت أن هذين المستويين كانا لا يكادان يختلفان؛ فمنذ بدايات العربية وأهلها يتحدثون بمستويين من اللغة:

- المستوى الفصيح، ويختص بالأدب الرفيع والشعر والندوات.
- المستوى العادي، وليس العامي، وهو ما يتحاورون به في حياتهم اليومية.

وقد كان هذان المستويان يسيران في خطين متوازيين، ولا يطغى أحدهما علىٰ الآخر طيلة العصر الجاهلي وصدر الإسلام حتى اختلط اللسان العربي بغيره من الأعاجم فتولدت لهجات يشوبها اللحن، وهنا هبّ أبناء العربية مدافعين عن لغتهم لغة القرآن للمحافظة عليها من خلال تقنيين ضوابط لها، ووضع معايير للسلامة فيها.

ومن مظاهر حفاظ العرب علىٰ لغتهم، والنأي بها عن اللهجات المرذولة اشتراطهم في راوي اللغة أن يكون ممن يملكها فطرة وسليقة، وهذا ما جعل اللغة في مأمن، فحفظت سليمة نقية؛ وتأكيدا علىٰ ذلك فهذا الفارابي يقول: « وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم؛ فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاعة ولا من غسان؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ولا من النمر؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبد قيس؛ لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم»(10) .

وقد أشار ابن خلدون إلىٰ حقيقة مسلّم بها تفيد أن العرب عندما اختلطوا بغيرهم فسدت سلائقهم، وضعفت ملكتهم اللغوية، وبيّن السبيل إلىٰ تربية تلك الملكة من خلال الدربة والمران فقال: « ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري علىٰ أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضًا في سائر فنونهم، حتى يتنزّل لكثرة حفظه كلامهم من المنظوم والنثور منزلة من نشأ بينهم، ولقن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره علىٰ حسب عبارتهم وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم، وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتها رسوخًا وقوة» (11).

ولم تقف جهود العرب قديمًا في الدفاع عن العربية، والمحافظة عليها سليمة نقية عند حد وضع الضوابط والقوانين فقط، بل تعدى ذلك بأن حاولوا معالجة ما يجدونه في كلامهم، وهو ما أثبته السيوطي بقوله: « قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميت عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ قال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟

10) – السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص: 56-57.

11) – مقدمة ابن خلدون، ص:526-527.

فقال: أحمل علىٰ الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات»(12). ويقصد – في ظنّي – بقوله لغات أنها لهجات؛ وبهذا فهو يفرّق بين الفصحى واللهجة.

وقد عرّف بعض المحدثين اللهجة العامية فقال: « هي اللسان الذي يستعمله عامة الناس– مشافهة – في حياتهم اليومية لقضاء حاجاتهم والتفاهم فيما بينهم، ومع مرور الزمن تتخذ هذه اللهجة صفات لغوية خاصة بها»(13).

حتمية التطور

من المعلوم أن اللغة كائن حيّ تتماشى مع سنن الطبيعة في التطور والنمو؛ فترقى برقي من يتكلم بها، فتكتسب صفة الحياة والديمومة عن طريقهم، وهي بذلك تعدّ عملية مكتسبة من حيث الكلام المنطوق الذي يمثّل الجانب الفعلي للغة؛ فتخضع لضوابط بعينها، وتتفاعل مع البيئة المحيطة بها، فتأخذ منها وتعطيها، فـ« لا يمكن أن يتعلّم الإنسان اللغة من خلال القصور علىٰ المادة اللغوية المسموعة أو المدونة فقط، والمعروضة بوسائل ووسائط متعددة، فالعينة اللغوية لا يمكن أن تمثل اللغة كلها، بل تعكس فحسب صورة جزئية مختارة، وعليه فلا بد من الاعتماد –كذلك – علىٰ حدس المتكلم في معرفة ما يقبل، وما لا يقبل من الاستعمالات اللغوية، ويقصد بالحدس: قدرة المتكلم علىٰ أن يدلي بمعلومة حول اللغة التي يتكلّم بها»(14).

ومما يؤكد إيمان العرب بالتطور الداخلي للغتهم ما جاء عن تركهم بعض اللغة التي ثبت أن أسلافهم كانوا يستخدمونها من قبل؛ فالتطور في اللغة أمر مسلّم به والدليل أنهم كانوا موقنين بذلك، يقول السيوطي: « ومن أمثلة المتروك قال في الجمهرة: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: مَضَّنِي كلام قديم قد ترك، قال ابن دريد: وكأنه أراد أمَضَّني هو المستعمل»(15). وهذا الأمر جلي وواضح في المعاجم العربية التي تزخر بالنص علىٰ المهمل والمتروك من الألفاظ .

وقد تنبّه علماء العربية الأوائل إلىٰ طواعية اللغة، وقدرتها علىٰ التوسّع، وعدم جمودها، وهو بلا شك مظهر من مظاهر تطورها؛ فهذا ابن جنّي يقول: « اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر يتعدى بآخر، فإن العرب تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر؛ فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما في معناه، وذلك كقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾(16)، وأنت تقول: رفثت إلىٰ المرأة، وإنما رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدّي أفضيت بـ(إلىٰ)، كقولك: أفضيت إلىٰ المرأة جئت بـ(إلىٰ) مع الرفث إيذانًا وإشعارًا أنه بمعناه»(17). فمن خلال هذا النص نستشف مدى مرونة اللغة وسلاستها، وفيه ردّ علىٰ من يتهمها بالجمود والتخلف. ويضيف ابن فارس إلىٰ ذلك مبينًا خصائص العربية، فيقول: «ومما اختصت به لغة العرب قلبهم الحروف عن جهاتها؛ ليكون أخف من الأول، نحو قولهم: ميعاد، ولم يقولوا: موعاد وهما من الوعد، إلاّ أن اللفظ الثاني أخف، ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين، وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن، ومنه قولهم: يا حارِ ميلاً إلىٰ التخفيف»(18). يتبين مما سبق مدى طواعية اللغة وانسيابها علىٰ ألسنة أهلها، وقدرتها علىٰ مواكبة أيّ عصر، وترويحها علىٰ المتكلم بحيث يستطيع استعمال ما شاء من الألفاظ بما يتناسب ومقدرته واستعداده اللغوي. كما يظهر أيضًا دفاعٌ عن العربية ضد من يتهمها بالجمود، كما هو معلوم الآن، ولكن من العدل أن نقول إن هناك من

---

12) – المزهر، 184/1-185.

13) – نايف معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص: 54.

14) – محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، ص: 140-141.

15) – المزهر: 218/1.

16) – سورة البقرة، من الآية: 187..

17) – الخصائص: 308/2.

18) – الصاحبي في فقه اللغة، ص: 16.

أنصف العربية من غير أبنائها، فبيّن خصائصها، وانتصر لها، يقول المستشرق يوهان فك: « قد احتفظت العربية الفصحى – في ظاهرة التصرف الإعرابي- بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية – باستثناء البابلية القديمة – قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، وقد احتدم الصراع حول غاية هذا التصرّف الإعرابي في لغة التخاطب الحيّ؛ فأشعار عرب البادية قبل الإسلام، وفي عصوره الأولى ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان»(19). ويضيف براجستراسر قائلاً: « ... فالضاد العتيقة حرف غريب جدًا غير موجود علىٰ حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلاّ العربية»(20).

ولعل فيما أوردنا من نصوص ما يثبت حقيقة تطور اللغة العربية، ونموها عبر العصور، ووصولها إلىٰ الدرجة الرفيعة التي نزل بها القرآن من حيث الصفاء والنقاء، والبعد عن الحوشي والمهمل. وهو الأمر الذي يحتّم علينا ضرورة المحافظة عليها، والسير علىٰ نهج أسلافنا بالتعمّق فيها ودمجها مع الواقع، وعدم هجرها وجعلها لغة خاصة للخاصة فقط، بل لا بد من احتوائها، وتحقيق التكيّف بينها وبين أبنائها، مع تعدد اللغات وتباين الثقافات الذي يزخر به عالمنا المعاصر، ويتم ذلك الاحتواء من خلال صرف الهمم وإعادة النظر في الخطط التي تضعها المؤسسات العربية من أجل إدراج المتعلم الأجنبي الناطق بغير العربية ضمن أولى اهتماماتها؛ فيعمل ذلك علىٰ نشر العربية في العالم، من خلال إسهام هذا الآخر في تسويقها وترويجها بعد اندماجه في أنظمتها اللسانية والبيانية(21).

ويضاف إلىٰ ذلك ضرورة ربط اللغة بالواقع المعاش من خلال التقنية الحديثة التي تظهر مدى قوة الترابط والتآزر بين ثقافات العالم، وقد كان للثقافة العربية والإسلامية نصيب من ذلك؛ من حيث رغبة العربي في إثبات هويته ووجوده عبر شبكة الأنترنت مستخدمًا لغته العالمية، وإظهار اهتمام غير العرب، وإقبالهم علىٰ برامج تعلّمها(22). ويؤكد الفهري علىٰ هذه الحقيقة بقوله: « إنّ تعميم العربية باعتبارها لغة التواصل الملائمة لدى القوى العاملة التي ستمكّن من الزيادة سرعة التنفيذ والإنتاج، بل إنّ تعزيز العربية في الإدارة والاقتصاد والاتصال والتكنولوجيا شرط ضروري للنوم الاقتصادي والتمية الاجتماعية، وإنّ استعمال العربية بصورة ملائمة في تقنيات الإعلام الجديدة ستمكّن من اتساع مجالها وديقرطتها»(23).

وبالإضافة إلىٰ دمج اللغة في الحياة اليومية، وجعلها لغة التفاعل اليومي، وقضاء الاحتياجات والأغراض بها، هناك أيضًا مجال آخر تظهر فيه أهمية اللغة، كما يظهر من خلاله مدى تأثيره علىٰ هذه اللغة من ناحية أخرى، ذلك هو مجال السياحة؛ فهو – كما لا يخفى علىٰ أحد – من أوسع المجالات وأهمها في نشر لغة ما، ومدّها بأسباب الحياة والنمو، ولكن هل العربية لغة سياحية؟ وإن كان الجواب لا، فهل تستطيع أن تكون كذلك؟ لا شك أن العربية قادرة علىٰ أن تكون لغة للسياحة بما تمتلكه من خصائص تجعلها تواكب كل جديد، وبما تمتاز به من طواعية تستوعب الواقع بكل مكوناته، مع الحفاظ علىٰ كل أنظمتها؛ الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

حلول وإصلاحات

لا شك أن لكل معضلة حلاً؛ وقد طبع الإنسان علىٰ التفكير العميق، ومحاولة استنباط الحلول لكل ما يواجهه في الحياة، وكذلك الحال بالنسبة إلىٰ ما تواجهه العربية في عالمنا المعاصر الذي يتغير في كل لحظة، واللغة شأنها كغيرها من مكونات هذا العالم لا بد أن تسير وفق سنن الطبيعة، وقواعد الوجود؛ فتنمو وتتطور، وتواكب كل جديد، ولكن هذا لا يعني فصلها عن جذورها، ومحاولة التقليل من شأنها، واتهامها بالجمد. ومن هنا وجب الحرص علىٰ هذه اللغة، والوقوف في وجه ما تتعرّض له من حرب شعواء بسبب اللهجات

---

19) – العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص: 15.

20) – التطور النحوي للغة العربية، ص: 18.

21) – انظر أحمد حساني، المرتكزات اللسانية لتعليمية اللغة العربية في وسط تعدد اللغات والثقافات، ص: 70.

22) – انظر سعيد بيومي، أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، ص: 10 .

23) – اللغة العربية، أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، ص: 15 .

التي تكاد تعصف بكيانها؛ فلماذا لا تكون اللهجات رافدًا يغذيها؟ وكيف نجعل من اللهجات منبعًا للتنوع والنماء؟ ولكن هذا لا يعني شرعنة اللهجات كما يحاول بعضهم .

وفي هذه الحال يقع علىٰ عاتق أبناء هذه اللغة مهمة الدفاع عنها، ويكون ذلك ابتداء بالمحافظة عليها نقية سليمة تدخل معترك الحياة الواقعية، وتثبت وجودها بين نظيراتها الأخريات. وأول ما يجب التنبّه إليه خدمة لهذه اللغة يكمن في ربطها بالقرآن الكريم؛ فعلاقة العربية بالقرآن عميقة ، وصلته بها متينة، يقول ابن قتيبة: « وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات»(24). فربط اللغة بكتاب الله تعالى من خلال الكتاتيب في المراحل الأولى من التعليم يعود بفائدة عظيمة علىٰ النشء الذي يترعرع وسط أصداء لغته الراقية، فيشنف أذانه برائق عباراتها وشجيّ أصواتها؛ من خلال ما يسمع ويرتل من آي الذكر الحكيم، فتألف أذنه اللغة الفصيحة، وينطلق لسانه بأساليبها وتراكيبها الرصينة، فلا يجدها غريبة عنه، وفي هذا تحفيز وغرس لحب العربية في نفسه.

ولا يقتصر دور الكتاتيب علىٰ حفظ القرآن، والمحافظة علىٰ سلامة اللغة العربية فقط، بل يفوق ذلك بأنه من خلال الكتاتيب، ومجالسة الشيوخ، وتلقّي النصوص القرآنية يستفيد الطالب مفردات ومعانيَ كثيرة من خلال النص القرآني، فيثري مخزونه اللغوي والفكري، وتتكون لديه ثروة لغوية – قل نظيرها عند غيره – يكتسبها من خلال تحليل النص القرآني وفهمه قبل حفظه، كما أنه يؤكد علىٰ الدقة في استعمال اللغة والمحافظة علىٰ قواعدها وضوابطها، فهو يستوعب تلك القواعد منطوقة عمليًا لا تنظيرًا.

ومن الحلول – أيضًا – المحافظة علىٰ اللغة العربية سليمة خالية من العيوب قدر المستطاع خلال المراحل الدراسية التالية للكتاتيب، وفي كل التخصصات.

ولا يخفى علىٰ أحد أنّ اعتمادها لغة للعلم والتخاطب والمعاملات له دور كبير في صونها والمحافظة عليها، ويكون ذلك بأن تقام دورات تدريبية للعاملين في مختلف المجالات، خاصة الإدارية منها، كي تكون مراسلاتهم سليمة اللغة تؤدي مهمتها.

ومما يسهم في حل مشكلة الثنائية في اللغة التنبّه إلىٰ لغة الإعلام سواء المكتوب أم المسموع أم المرئي. ومع كل ما سبق يبقى الأمل داخل نفوسنا، ويظل التطلع إلىٰ غدٍ مشرق، فمهما تباعدت الدول العربية سياسيًا وجغرافيًا تظل وحدة اللغة والدين تجمعها؛ حيث تمثل الهوية اللغوية والدينية لهذه الأمة، ويؤكد ذلك ما نلاحظه من اختلاف اللهجات المحلية فيما بيننا الذي لم يقدح في هذه الهوية؛ إذ يحاول العربي أن يفهم أخاه العربي وإن اختلفت لهجة كل منهما، فيعمل كلاهما علىٰ الحفاظ علىٰ القدر الكافي للتواصل؛ فيردان إلىٰ منهل الفصحى ليجدا ما يجمعهما.

الخلاصة والتوصيات

وختام القول إن مستقبل أيّ لغة يكمن في العمل علىٰ تنمية المتكلمين بها، ومن مختلف النواحي؛ الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كي ينتج لغة سليمة لا يعكر صفوها دخيل أو عاميّ، ويقع علىٰ عاتق أهل اللغة دون غيرهم مسؤولية المحافظة عليها ودعمها لتكتسب السيرورة والذيوع؛ وفي ذلك حماية لها من الانقراض، ولكن الجهود الفردية لا تغني شيئًا، بل لا بد من تكاثف الجهود؛ مؤسسات ومنظمات وهيئات إدارية وحكومية من أجل الرقي بهذه اللغة الشريفة.

أخلص من ذلك كله إلىٰ جملة من النتائج والتوصيات أرجو أن تجد أذنًا صاغية، وقلبًا واعيًا، وضميرًا حيًّا يجعل واقع العربية ومستقبلها نصب عينيه، من هذه التوصيات:

24) – تأويل مشكل القرآن ، ص: 12.

- الحرص علىٰ تزويد الطفل العربي بالمستوى الراقي من اللغة؛ حتى يأنس هذا النوع الجيد من الكلام، وتألف أذنه الرائق من الأساليب، ولعل أفضل وسيلة لذلك تكمن في الدفع به منذ الصغر إلىٰ الكتاتيب؛ لحفظ القرآن الكريم، والتعايش مع أساليبه وإعجازه البياني.
- الانتباه إلىٰ برامج الأطفال التي تبث في وسائل الإعلام، وحتمية عرضها بلغة رصينة محكمة يتلقاها النشء الجديد، فيعتاد عليها ويحاول النسج علىٰ منوالها، ولعل ما نراه في بعض القنوات التي أسهمت في هذه المسألة خير مثال؛ إذ من الملاحظ أن الأطفال في سن مبكرة يتكلمون بلغة أفضل من ذويهم نتيجة المحاكاة، فتتشرب نفوسهم هذه اللغة منذ نعومة أظفارهم، وعندما يلتحقون بالمدرسة، والتعلم خارج البيت لا بد أن يجدوا ما يكمل هذه الخطوات، ويواصل المسير بهم علىٰ الدرب الصحيح من خلال معلم يتقن العربية، ولا يستعمل غيرها داخل قاعات الدرس؛ لكي لا يحصل خلل وازدواج بين ما ألفه هؤلاء الأطفال في مراحل حياتهم الأولى، وما يستجد في المدرسة.
- ولا ننسى واجب الحكومات المنوط بها من خلال وضع استراتيجيات تكفل للجيل الناشئ ما يعينه علىٰ إجادة لغته؛ فمستقبل اللغة رهن بهذا الجيل ومتوقف عليه، وخير مثال لذلك ما يلاحظ في بلدان المغرب العربي من حرصهم علىٰ جعل الفرنسية مادة أساسية في المراحل الأولى من التعليم، بل قد يصل الأمر أحيانًا إلىٰ اعتمادها لغة التعليم فيها؛ ما أنتج جيلاً يكاد يكون مستعربًا لا عربيًا' فالطفل أصبح غير قادر علىٰ تكوين جملة عربية صحيحة، فيجب التنبه إلىٰ ذلك ومعالجته.
- التشجيع علىٰ القراءة الحرة، حيث يقع علىٰ عاتق المؤسسات بمختلف تخصصاتها مهمة القيام بهذه المبادرة؛ باستقطاع وقت لتنمية هذه المهارة.
- الارتقاء بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من خلال وضع برامج معدة مسبقًا، وكذلك العمل علىٰ الترويج لها وتصديرها إلىٰ العالم أجمع بتعميم امتحان الكفاءة في اللغة العربية، وجعله ملزمًا لكل من لديه الرغبة في العمل أو الدراسة في بلد عربي قياسًا علىٰ امتحان اللغة الإنجليزية (**TOEFL**).
- مراقبة مواقع التواصل الاجتماعي، ومدى تأثيرها علىٰ اللغة العربية السليمة، والتنبه إلىٰ خطر لغة التواصل المستعملة لدى رواد الفضاء الأزرق، وإسهامها في اتساع الفجوة بين اللغة الفصيحة واللهجة المحلية، بل إنها جعلت التفاهم من الصعوبة بمكان بين أبناء الوطن الواحد لاختلاف لهجاتهم.
- العمل علىٰ تضييق الفجوة العميقة بين الفصحى والعامية من خلال الارتقاء بالعامية، ومحاولة تقريبها إلىٰ الفصحى، وليس العكس؛ بأن توجد لغة معتدلة صحيحة القواعد، سهلة ميسورة للتخاطب اليومي؛ فلا هي عامية ملحنة، ولا عربية مقعرة. ويتحقق بهذا التقليل من الثنائية في اللغة (لغة الخطاب اليومي، ولغة الأدب الرفيع للمختصين) وجعلها لغة حياة وتواصل.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى، 1952م .

ابن خلدون، المقدمة، دار الشعب .

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، عيسى البابي الحلبي، 1977م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، الطبعة الأولى، 1973م.

براجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، تحقيق: رمضان عبد التواب.

بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، الطبعة الأولى، 2002م .

الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى سقا وآخرين، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، 1938م .

الجاحظ، عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1985م .

حساني، أحمد، المرتكزات اللسانية لتعليمية اللغة العربية في وسط تعدد اللغات والثقافات، الندوة الدولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية (6-8 نوفمبر 2000م) المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر. أعمال الندوة.

السيوطي، عبد الرحمن، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: أحمد محمد قاسم، القاهرة، 1976م.

شوقي، أحمد، ديوان أحمد شوقي، تحقيق: عمر فاروق، بيروت، دار الأرقم للطباعة، لا ت .

الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

عبد العزيز، محمد حسن، القياس في اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1995م .

الفهري الفاسي ، اللغة العربية، أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2005م.

المزهر في علوم العربية وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وزميليه، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثالثة .

معروف، نايف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، 1998م .

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (**ALECSO**) الخطة الشاملة للثقافة العربية صيغة 1996م

يوهان فك، العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة، 1951م.